



نشرت جريدة الدستور الأردنية، والقدس العربي اللندنية في 15/ يناير/ 2012 مقالاً عن القرية السورية للشاعر العراقي المعروف: سعدي يوسف، مفاده: حسبما حدثه سيد لا تعرفه، التقاهما في مقهى أوروبي عن إنشاء قرية سورية في أحد الدول الأوروبية هدفها: تدريب جنود متوجهين متعطشين للدم على كل ما هو سوري، تمهدأ لغزو سورية وهدم قراها، على رؤوس أهلها الآمنين. وحديثها - حسب قوله - أعاد إلى ذاكرته المتعبة ما كان من القرية العراقية؛ التي أقيمت في أكثر من مكان أوروبي قبل احتلال العراق.

وعليه، وإن كان الكلام كلام قهاوي، ولكن! يمتنع ذلك لمكانة كاتبه، بل ويستوجب التعقب.
أراد شاعرنا أن يأخذنا بطريقة المآلات، إلى اعتبار ثورة الياسمين على أرض البطولات السورية، مؤامرة خارجية يراد منها أن يصار بسورية كما كان في العراق. ولئن كنا نعتقد أن المؤامرات على بلادنا لم ولن تتوقف، وهي ليست جديدة بل ممتدة في الزمان والمكان، من قبل ومن بعد، ولئن كنا أيضاً لا ننفي خبر القرية العراقية أو السورية ولا ننفي، ولكن! المؤكد أنَّ من دخلوا العراق على صهوة الدبابة الأمريكية معروفون جميعاً أفراداً وجماعاتٍ وكلّاً وأحزاباً وأطرافاً، وكان مقدمهم من مدائن مقاومةٍ وممانعةٍ معروفة، مدن تمُّور رفضاً لكلِّ ما هو أمريكي وصهيوني، وليس من قرية أوروبية شرقية أو غربية.

إشارة شاعرنا إلى ما عاد إلى ذاكرته عن القرية العراقية الأوروبية، أعادت إلى ذاكرتنا أيضاً الخصومة التاريخية والعلنية للنظام السوري لنظيره نظام بعث العراق لعشرات من السنين، حتى يوم سقوطه بالطريقة المعروفة، والتي ترافقت بمناقبه ومازره المشهودة، في وقوفه في صفِّ الجانب الإيراني، بحيث جعل النظام السوري، وكذلك حليفه الإيراني من بلده قرية لا مثيل لها في العالم، كمكان إقامةٍ وتدريب، وحركةٍ وتدبير، وتحطيمٍ للمعارضين العراقيين حتى تمكّنوا بالمساعدة الأمريكية والبريطانية العلنية، والتدخل العسكري المباشر أيضاً، من العودة إلى العراق راكبين دبابة الأمريكية، وداخلين بمعية المحتل.
وعليه، فهل كانت مشكلة العراق ونظامه في القرية العراقية الأوروبية التي أشار إليها الشاعر أم في الدولة السورية ونظامها؟، أم أنَّ مصيبة العراقيين والسوريين هي مع مستبدِّهم وقائهم وقاتلهم وسارقهم العراقي والسوسي، الذي أوصلنا معه إلى

وضع كارثي معرفي أخلاقي سياسي اقتصادي اجتماعي وتنموي، بعد عقود من ديكاتوريات مستبدة فاسدة ومحضة، أهلكت الحرف والنسل، وعطلت حراك المجتمع، وجففت فيه سحر الحياة وبهجهتها، وأماتت فيه الأمل!!؟ ومن ثم، فإننا نتساءل مع أصحاب القرية العراقية السابقة والسوبرية الحالية اللاحقة: هل مثل هذه القرى هي التي جعلت من نظامنا قاماً فاشياً وقاتلً متواحشًا، يتظاهر بالمقاومة من كل آثامه وذنبه قبل أن يأوي إلى نومه، أو جعلت منه لصًّا نهاباً على رؤوس الأشهاد ثم يغتسل بالمامانعة؛ فيرجع كل صباح تقىًّا نقىًّا كيوم ولدته أمه.

هل هذه القرية السوبرية التي أشارت إليها سيدة كريمة في مقتني، هي التي تأمرت وأقنعت رجل أمن اسمه: عاطف نجيب، كل إمكاناته أنه عتل جواً شاذًّا، ومرتضى زنيم، ولصًّ مجرم، وكل مؤهلهاته أنه ابن خالة رئيس النظام، ليصبح أحد أبطال ثورة الياسمين السوبرية، يوم لم يثنه عن التوّحُّش في تعذيب باقة من ورود أطفال درعا؛ قطرةً من رحمة، أو لحسنة من إنسانية، فصب عليهم سوط عذاب...!!؟

إن نظاماً قاماً متواحشًا، يرتكب أفعى الجرائم بمواطنه المقهور، وعامله البئس، وموظفيه المضطهد، وشعبه الجائع والممتهن، ثم يثور برakan جماهيره على السادة والكبار، بعد طول صبرٍ ومعاناة لعشرات السنين، لسنا بحاجة لنجوب شرق الأرض وغربها، ولا شمال أوروبا لقول عن قرية ومؤامرة، في تفسير هذا الكم من الغضب الساطع لشعب مسحوق، يدعوه ربه أن ينام ثم يستيقظ فلا يرى منهم فرداً، ويتمىّز لهم صاعقة تأخذهم أخذة واحدة، ولا تبقي منهم أحداً. لأنَّه لو اجتمعوا قرى الأرض تخطيطاً وترتباً، لما استطاعت أن تحدث دماراً وخراباً في بنية المجتمع ومنظومة قيمه، كما فعل ويفعل السُّفهاء والمعوّقون من أبناء جلدتنا، وبني قومنا ممَّن أعمى الله بصرهم وبصائرهم وعقولهم، ممَّن تولوا أمرنا بقوه بسطارهم وسلاحيهم.

من يصدق اليوم أنَّ سورياً بعد عشرات السنين من حكم شموليٍّ فاشيٍّ لحزب واحد وعائلة واحدة، الحرية فيها مسلوبة، والكرامة فيها مغتصبة، تنهَّدُها جوائح الفقر والمصير المجهول...!!.

من يصدق أنَّ نصف قرن من حكم متواحش، قتل فيه الوالد وما ولد أكثر من خمسين ألفاً من مواطنيه، واعتقل مئات الآلاف منهم، وشرد أضعافهم طوعاً وكرها.. !!.

من يصدق أنَّ عقوداً من السنين لم تكن كافية لهم للإصلاح، حتى إذا قامت قيامة المستضعفين الأحرار، وخرج ماردهم لا يلوي على شيء، يتحدى الأوصوص والسفهاء والعاهاهات من الهباشين والشبيحة وال مجرمين، خرجن بلا ذرة من حياء، ولا ضمير ومعهم شبيحتهم من العمامئ واللحي، يطلبون التمديد لهم للإصلاح، ولكن! أنَّ لهم وقد اقتربت ساعتهم، وأفضوا إلى ما قدموا من إجرام، وفاتهم القطار!!

نعم حكمونا خمسين عاماً، لكن! لا ننكر إصلاحهم، فقد أصلحوا مناطقهم بدمائنا، وملئوا جيوبهم من أموالنا، وأصبحت مناصب الدولة كلها لهم، وأصبحوا السجانيين، وأصبحنا المساجين، أصبحنا نخدمهم بعد أن كانوا خدماً عندنا، ها هو إصلاحهم!!

وتقولون طائفية، فهم الذين زرعوا الطائفية بنا، مع أنَّهم لا يشكلون العشرة بالمائة من الشعب السوري، ها هو إصلاحهم بنظرهم، كلما قالوا: سنصلح، يزدرون في القمع والقتل والاغتيالات والاعتقالات، ويعذبون المعتقلين أشد العذاب، ها هو الإصلاح عندهم.

إلى متى سيبقى الصمت العربي؟!
إلى متى سيبقى الصمت الدولي؟!

قال الله - تعالى - : {يَقُولُ قَوْمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدُهُمُ النَّارَ وَيُسَارِي الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ * وَأَتْبُعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسُسَ الْرِّفْدُ الْمَرْفُودُ * ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقَرَى نَقْصَهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ}

اللَّهُمَّ إِنِّي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبِ^{*} وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَى وَهِيَ طَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: 98-102].

المصدر: موقع المسلم

المصادر: